حق غريق
في بحر من الباطل

لا مرية أن يطيب لبعض الناس أن ينتحل أقوالاً يعزوها لغيره ، أو يبدع من نسج خياله صوراً لا تمت إلى واقع الأمر بصلة، ثم لا تلبث هذه الأقوال أو هذه الصور أن تأخذ على توالي الأيام عند بعض الناس صفة الحقيقة، فينقلها مفترضاً صحتها من غير أن يتعرض لها بتحقيق أو على الأقل يقدمها في ثوب من الحيطة والحذر كما تقضي الأمانة العلمية .

ومن ذلك ما وقع به ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الأطباء نقلاً عن اسحاق بن حنين خاصًّا بنسطاس ومرين ذلك وقسطانس وارسطو طاليس اليكم مما سيأتي ذكره. وأثبت أستاذنا الجليل حضرة صاحب المعالي احمد لطفي السيد باشا في تصديره لكتاب الأخلاق لأرسطو انه مستحيل بقوله :

« والواقع ان أرسطو لم ينتقل مدة الطلب من أثينا ، وكانت أثينا طوال ذلك الحين جمهورية ليس فيها ملك، فأمر أفلاطون بتعليم ابنه، ولا ابن ملك ليعلمه أفلاطون فيتلقف أرسطو، الذي جعلته هذه القصة خادماً ما كان يلقبه الاستاذ على ابن الملك، كل ذلك لم يكن، بل لم يكن منه إلا شيء واحد هو ان الشاب أرسطو ذكي مجتهد . وهذا حق غريق في بحر من الباطل »

وبعد : فأقدم القصة نفسها نقلاً عن كتاب طبقات الأطباء نفسه مردفة بمقالة ارسطو او المنسوبة إلى أرسطو في ذلك اليوم . وإني إذ أنشر بعد القصة هذا المقال المنتحل حقًّا ، والذي هو من غير شك كتاب رديء لا نزاع ، لا اقصد من نشره التعرض له من جهة الباعث الذي حمل اسحاق او غير اسحاق على إسناد هذا القبيل الى ذلك الاسم الضخم، اسم ارسطوطاليس، وانما مقصودي من نشر هذا الشر هو أن أسهل الاطلاع على هذا المقال المنتحل لمن يجب أن يزن القصة في ميزانه على ضوء ما فيه من حكم وآداب . ولمن يجب أن يلقح فهمه بهذه النتائج السافرة ، أضع بين يديه هذه المادة الغزيرة ، فإنا بها على من سوف يقرؤها لمجرد التسلية، من غير أن يأخذ نفسه بالرياضة عليها، فقد كان أرسطو يرى والحق ما يراه انه لا فائدة من العلم إلا في العملية عما نظريًّا دون رياضة النفس على حيازته واستعمالها.

واليكم الآن القصة وما سنشر حنين من إجابة لأرسطوطاليس في ذلك اليوم .

اتخذ برقسطانس الملك بيتاً للحكمة وفرشه لابنه فلانرس وأمر أفلاطون بملازمته

وتعليمه، وكان نطافورس غلاماً منحطاً قليل الفهم بطيء الحفظ ، وكان أرسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سمت به همته الى خدمة أفلاطون الحكيم، وكان ذكيًّا فهماً جادًّا مجيداً. وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والآداب فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان أرسطوطاليس يتلقف ما يلقى الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سرًّا من أفلاطون ويحفظه، وأفلاطون لا يعلم ذلك من سر أرسطوطاليس وضميره، حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب (١)

وألبس نطافورس الحلى والحلل وحضر الملك روفسطانس وأهل المملكة وأفلاطون وتلاميذه فلما انقضت الصلاة صعد أفلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم على الاشهاد والملوك ، فلم يؤد نطافورس شيئاً من الحكمة ولا نطق بحرف من الآداب فأسقط في يد افلاطون ، واعتذ الى الناس بأنه لم يتحن حله، ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واثقاً بحكمته وفطنته، ثم دعا من ينوب عن نطافورس من تلاميذه فقام ارسطوطاليس وصعد الدرج بغير زينة [illegible] وأتى بأنواع الحكمة والآداب التي ألقاها أفلاطون الى نطافورس لم يترك منه حرفاً فقال افلاطون للملك : هذه هي الحكمة التي لقنتها نطافورس قد وعاها أرسطوطاليس سرًّا فما حيلتي في الرزق والحرمان . وكان الملك في ذلك اليوم يرضع ابنه الملك فأمر باصطناع أرسطوطاليس ولم يرضع ابنه للملك وانصرف الجمع في ذلك عن استحسان ما أتى به أرسطوطاليس والتعجب من الرزق والحرمان .

مقالة أرسطوطاليس وما نُسب اليه في ذلك اليوم

لبارئنا التقديس والاعظام والاجلال والاكرام .

أيها الاشهاد : العلم مرهبة الباري ، والحكمة هبة من يعطي ويمنع ، ويحط ويرفع ، والتفاضل في الدنيا والتفاخر بها بالحكمة التي هي روح الحياة ومادة العقل الرباني العلوي .

أنا اروسطوطاليس ابن فيلوبيس اليتيم خادم نطافورس ابن الملك الحليم . حفظت ووعيت والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الاسباب .

أيها الاشهاد : بالعقول تتفاضل الناس لا بالاصول ، وعيت عن افلاطون الحكيم : الحكمة رأس العلوم ، والآداب تلقيح الافهام ونتائج الاذهان ، وبالفكر الثاقب يدرك الرأي المصيب ، وبالتأني تسهل المطالب ، وبلين الكلام تدوم المودة في الصدور ، وبخفض

(١) يقال ان الملوك من الى اية وضيعة كانت تعلم أولادها الحكمة والفلسفة في بيوت الذهب هذه وكانت هذه البيوت تزين بالدور لارتياح التلاميذ اليها . فيحدق النظر الى رؤيتها فاذا حفظ الغلام من أولاد الملوك علماً أو حكمة أو أدباً صعد على منبر في يوم العيد أمام أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة ويتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤوس الاشهاد وعليه التاج وحلل الجوهر وبعد ذلك يعد حكيما على قدر ذكائه وفهمه

الجناح كم الأمور ، وسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور ، وبحسن الصمت جلال الهيبة ، وبالبشاشة المنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف ، وبالانصاف يجب التواصل ، وبالتواضع تكثر الفرقة ، وبالعفاف تزكو الاعمال ، وبالاغضاء يكون السؤدد ، وبالعدل يقهر العدو ، وبالحلم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايثار يستوجب اسم الجود ، وبالانعام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل ، وبحسن الاعتبار تضرب الأمثال ، والأيام تفيد الحكم . يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيا ، ومن اتساعات تتولد الآفات ، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب ، وبحلول المكاره ينتقص العيش وتتكدر النعم ، وبالمنّ يكثر الاحسان ، وبالجحد للانعام يجب الحرمان ، صديق الملول زائل عنه ، السيء الخلق مخاطر صاحبه ، الضيق الباع قصير النظر ، البخيل ذليل وإن كان غنيًّا والجواد عزيز وان كان مقلاً ، الطمع الفقر الحاضر ، اليأس الغنى الظاهر ، لا أدري لصف العلم ، السرعة في الجواب توجب العثار ، التروّي في الأمور يعث على البصائر ، الرياضة تشحذ القريحة ، الأدب يغني عن الحسب ، التقوى شعار العالم ، الرياء لبوس الجاهل ، مقاساة الأحمق عذاب الروح ، الاستهتار بالنساء فعل النوكى ، الاشتغال بالغائب تضييع الأوقات ، التعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التقي سبب الحسرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتحقيق المنة ، صديق الجاهل مغرور ، المخاطر خائب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس ، من زاد علمه على عقله كان علمه وبالاً عليه ، المجرب أحكم من الطبيب ، إذا فاتك الأدب فالزم الصمت . من لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل ، من تأنى لم يندم ، من افتخر ارتطم ، من عجل تورط ، من تفكر سلم ، من روى غنم ، من سأل علم ، من حمل ما لا يطيق ارتبك . التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة ، للسعادة على كل أحد سلطان ، وكل شيء يستطاع نقله الا الطباع ، وكل شيء تتهيأ فيه حيلة الا القضاء ، من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من خط البلاغة بالايجاز ، يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ، من وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال ، ومن عدم درك ذلك كان مقصوراً بالجهل ومفتوناً بحب الرأي . ومعدولاً بالهوى عند باب التثبت ، ومصروفاً بسوء العادة عن تفضيل التعليم ، الجزع عند مصائب الاخوان أحمد من الصبر وصبر المرء على مصيبته أحمد من جزعه ، ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الاقامة على الظلم ، من طلب خدمة السلطان بغير أدب خرج من السلامة الى العطب الارتقاء الى السؤدد صعب ، والانحطاط الى الدناءة سهل»

تلك هي القصة وهذه هي المقالة ولدي بنشرها أصادف مَنْ نفسه مستعدة لهذه الكلمة ملاءمة لها فتهدي بهديها، وهذا آخر غرضنا من نشرها والسلام .

منصور رجب
المدرس بكلية أصول الدين